آيةُ المودّةِ دراسةٌ تداوليةٌ

The verse of affection (a pragmatic study)

أ.م.د.واثق غالب هاشم
Dr. Wathiq Galib Hashim

العراق – كلّية التربية – الجامعة المستنصرية
iraq–collage of Education – Mustansiryah university

Br.wathiq76@gmail.com

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي
Turnitin - passed research

مُلَخَّصُ البحْث:

سعى البحث إلى دراسة آية قرآنية كريمة هي آية المودّة الواقعة ضمن الآية الثالثة والعشرين من سورة الشورى، قال تعالى: ((قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)) .

وقد توخّى البحث في معالجاته وتحليلاته للآية منهج الدرجات الثلاث للتداولية الذي توصل إليه اللساني الهولندي (هانسون) في برنامجه، وهو منهج حديث روّض التداولية على ما فيها من أنواع وتشعب وثراء معرفي؛ إذ استرفدت علوم عدة منها علم النفس وعلم الاجتماع واللسانيات وعلوم الاتصال والفلسفة التحليلية. وعماد هذا المنهج السياق الذي لا ينفك عنه في أي درجة تداولية منه. وقد أدلى البحث بدلوه وظفر بنتائج كان من أهمها، حاولت بعض الروايات المنقولة في سبب نزول الآية صرف النظر عمن نزلت بحقهم، فاختُلف في معنى الآية، فعلى من تقع المودّة؟ وأي الناس أولى بها؟ لأنّ القربى تارةً قريش، وتارةً عامة الناس، وتارةً حب النبي صلّى الله عليه وآله لقريش، والحال أنّ الدلائل تشير إلى أنّها نزلت في حق عترة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو المعنى الذي يستقيم وسياق الآية وينطبق عليه، إلى جانب أنّ القرآن الكريم هو الحاكم في تمييز الرواية الصحيحة من السقيمة أو قربها وبعدها ممّا يريده. وبيّن البحث أنّ الإشاريات شخّصت أطراف الخطاب، وحدّدت مكانًا تستقر فيه المودّة، وشخّصت فيمن تجري، فضلاً عن زمن سؤال الأجر. وأفاد الافتراض المسبّق الذي حفلت به الآية حصول محادثة وعرض وردّ يتعلق بالأجر؛ إذ لكلّ عمل أجر، وقد كشف البحث عمّا انطوت عليه الافتراضات الكامنة في تركيب الآية. ولآية المودّة أقوالٌ مضمرة أظهرها البحث، استندت إلى السياق والكفاءة اللغويّة التداولية للمتلقي أو المرسل إليه. ولقد كان في آية المودّة خروج عن مقولة المناسبة، ولّد استلزامًا حواريًّا مفاده وجوب حب آل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، بل واتّباعهم وعدم الاكتفاء بالمحبة المجردة فقط. وأخيرًا اشتمل الفعل الكلّامي في الآية على قوتين إنجازيتين: الأولى حرفية مباشرة (إخبار وإبلاغ) والأخرى غير مباشرة (أمر بالمودّة) بدرجة إنجاز قوية مؤداة بوسيلة تركيبية هي أسلوب القصر.

الكلّمات المفتاحية: آية المودّة ، تداولية ، منهج الدرجات الثلاث .

Abstract :

The research sought to study a noble Quranic verse، which is the verse of affection that falls within the twenty-third verse of Surat Al-Shura. In his treatment and analysis of the verse، the research pursued the three-degrees approach to deliberativeness، which was reached by the Dutch linguist (Hanson) in his program. It learned several sciences، including psychology، sociology، linguistics، communication sciences، and analytical philosophy. The mainstay of this approach is the context that is inseparable from it in any deliberative degree of it. The research presented its significance and achieved results، the most important of which were: The research showed that the signs diagnosed the parties to the discourse، determined a place where affection resides، and diagnosed who it takes place، in addition to the time of asking for reward. The presupposition that the verse was full of indicated that there was a conversation، offer and response related to the reward. For every work has a reward، and the research revealed what was implied by the assumptions inherent in the composition of the verse. The verse of affection has implicit sayings revealed by the research، based on the context and the deliberative linguistic competence of the recipient or addressee. In the verse of affection، there was a departure from the argument of the occasion، and it generated a dialogue implication stating that it is obligatory to love the family of the Prophet (PBUH)، and even to follow them، and not to be satisfied with mere love only. Finally، the verbal act in the verse included two performing forces: the first is direct literal (information and informing) and the other is indirect (ordering affection) with a strong degree of achievement performed by a synthetic means، which is the style of palace.

Keywords: the verse of affection، pragmatics، the three degrees approach.

المقدمة :

الحمد لله حمدًا يوازي النعم والصلاة والسلام على رسوله الأكرم وآله الطيبين الطاهرين ، أما بعد ...

فلا غرو أنّ التحليل التداولي للخطابات والنصوص بما أُتيح له من أدوات، له الإمكانية الواسعة في سبر أغوار تلك النصوص والخطابات، وفي مقاربتها وصولًا إلى القصد أو أقوى وجوه المعاني؛ إذ تعنى التداولية بالعملية التواصلية وما يلج في حيثياتها من ظروف وملابسات، أي كلّ ما هو لغويّ وخارج اللغويّ.

وقد توخّى البحث في معالجاته وتحليلاته لآية المودّة منهج الدرجات الثلاث للتداولية الذي توصل إليه اللسانيّ الهولنديّ (هانسون) في برنامجه، وهو منهج روّض التداولية على ما فيها من أنواع وتشعب وثراء معرفي؛ إذ استرفدت علوم عدة منها علم النفس وعلم الاجتماع واللسانيات وعلوم الاتصال والفلسفة التحليلية. وعماد هذا المنهج السياق الذي لا ينفك عنه في أي درجة تداولية منه؛ إذ تعتمد التداولية في درجتها الأولى على دراسة الإشاريات التي تحيل على أطراف الخطاب وزمانه ومكانه. وتعنى في درجتها الثانية بدراسة المعنى الحرفي والمعنى التواصلي، أي تدرس الدلالة الضمنية للقول بتجاوز المعنى الحرفي، ومعرفة كيفية انتقال الدلالة من المستوى الصريح إلى المستوى الضمني التلميحي، ويقع في هذا النمط من الدراسة نظرية قوانين الخطاب، والمحادثة، وما ينبثق عنها من ظواهر خطابية كالافتراض السابق والأقوال المضمرة، والاستلزام الحواري، والحجاج. وتهتم التداولية بدرجتها الثالثة بنظرية أفعال الكلّام[1] .

أولًا: في مقام الآية وسياقها الخارجي :

آية المودّة هي الآية الثالثة والعشرون من سورة الشورى في القرآن الكريم؛ تمثّلت في مقطع من قوله تعالى ((قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)) الوارد ضمن الآية بتمامها((ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ)) .

تعالج سورة الشورى قضية العقيدة وتركّز بصفة خاصة على حقيقة الوحي والرسالة، حتى ليصح أن يقال: إنّها هي المحور الرئيس الذي ترتبط به السورة كلّها وتأتي سائر الموضوعات فيها تبعًا لتلك الحقيقة الرئيسة فيها. ولكن حقيقة الوحي والرسالة، وما يتصل بها، تظل – مع ذلك – هي الحقيقة البارزة في محيط السورة، التي تطبعها وتظلّلها. وكأنّ سائر الموضوعات الأخرى مسوقة لتقوية تلك الحقيقة الأولى وتوكيدها[٢].

فالوحي هو الموضوع الذي يجري عليه الكلّام في السورة و ما فيها من التعرض لآيات التوحيد و صفات المؤمنين والكفار وما يستقبل كلّا من الفريقين في معادهم ورجوعهم إلى الله سبحانه مقصود بالقصد الثاني. والسورة مكية و قد استثني قوله: «والذين استجابوا لربهم» إلى تمام ثلاث آيات، وقوله: «قل لا أسألكم عليه أجرًا إلّا المودّة في القربى» إلى تمام أربع آيات[٣].((قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَكِّيَّةٌ إِلَّا أَرْبَعَ آيَاتٍ مِنْ قَوْلِهِ: قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى إِلَى آخِرِ الْأَرْبَعِ آيَاتٍ، فَإِنَّهَا نَزَلَتْ بِالْمَدِينَةِ. وَقَالَ مُقَاتِلٌ: فِيهَا مَدَنِيٌّ قَوْلُهُ: ذلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبادَهُ إِلَى الصُّدُورِ))[٤].

وكان في سبب نزولها أقوال، منها : إنّ الخطاب لمشركي قريش، والأجر المسؤول هو مودتهم للنبي (ﷺ) لقرابته منهم؛ وذلك لأنّهم كانوا يكذبونه ويبغضونه لتعرضه لآلهتهم على ما في بعض الأخبار فأمر (ﷺ) أن يسألهم: إن لم يؤمنوا به فليودوه لمكان قرابته منهم ولا يبغضوه ولا يؤذوه فالقربى مصدر بمعنى القرابة، وفي للسببية[٥]. وفي هذا القول ((أنّ معنى الأجر إنّما يتم إذا قوبل به عمل يمتلكه معطي الأجر فيعطي العامل ما يعادل ما امتلكه من مال و نحوه فسؤال الأجر من قريش وهم كانوا مكذبين له كافرين بدعوته إنّما كان يصح على تقدير إيمانهم به (ﷺ) لأنّهم على تقدير تكذيبه و الكفر بدعوته لم يأخذوا منه شيئا حتى يقابلوه بالأجر، وعلى تقدير الإيمان به –والنبوة أحد الأصول الثلاثة في الدين– لا يتصور بغض حتى تجعل المودّة أجرًا للرسالة و يسأل))[٦].

فعلى الإجمال، لا تحقق لمعنى الأجر على تقدير كفر المعنيين بالسؤال، ولا تحقق لمعنى البغض على تقدير إيمانهم حتى يسألوا المودّة؛ فهذا المعنى غير مستقيم ولا منطبق على سياق الآية .

وقيل: المراد بالمودّة في القربى ما تقدّم والخطاب للأنصار فقد قيل: إنّهم أتوه بمال ليستعين به على ما ينوبه فنزلت الآية فرده، و قد كان له منهم قرابة من جهة سلمى بنت زيد النجارية ومن جهة أخوال أمه آمنة على ما قيل[٧].

وفي هذا القول ((أنّ أمر الأنصار في حبهم للنبي (ﷺ) أوضح من أن يرتاب فيه ذو ريب وهم الذين سألوه أن يهاجر إليهم، وبوءوا له الدار، وفدوه بالأنفس والأموال و البنين و بذلوا كلّ جهدهم في نصرته وحتى في الإحسان على من هاجر إليهم من المؤمنين به، و قد مدحهم الله تعالى بمثل قوله:﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ

وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر:٩]، و هذا مبلغ حبهم للمهاجرين إليهم لأجل النبي (ﷺ) فما هو الظن في حبهم له؟))[٨]. فإذا كان مقدار حبهم كبيرًا، فما معنى أن يؤمر النبي (ﷺ) أن يتوسل إلى مودتهم بقرابته البعيدة منهم ؟!

وقيل: الخطاب لقريش والمودّة في القربى هي المودّة بسبب القرابة، غير أنّ المراد بها مودّة النبي (ﷺ) لا مودّة قريش، كما في القول الأول، والاستثناء منقطع، ومحصل المعنى: أنّي لا أسألكم أجرًا على ما أدعوكم إليه من الهدى الذي ينتهي بكم إلى روضات الجنات و الخلود فيها ولا أطلب منكم جزاءً، لكن حبي لكم بسبب قرابتكم مني دفعني إلى أنّ أهديكم إليه و أدلكم عليه[٩].

وهذا القول لا يلائم ما رسمه الله سبحانه للنبي (ﷺ) في طريق الدعوة والهداية فإنّه تعالى يسجل عليه في مواضع كثيرة من كلّامه أنّ الأمر في هداية الناس إلى الله تعالى و ليس له من الأمر شيء و أنّ ليس له أن يحزن لكفرهم وردهم دعوته، وإنّما عليه البلاغ فلم يكن له أن يندفع إلى هداية أحد لحب قرابة أو يعرض عن هداية آخرين لبغض أو كراهة، ومع ذلك كلّه كيف يتصّور أن يأمره الله بقوله: «قل لا أسألكم...» أن يخبر كفار قريش أنّه إنّما اندفع إلى دعوتهم وهدايتهم بسبب حبه لهم لقرابتهم منه لا لأجر يسألهم إياه عليه[١٠].

وقيل: معنى القربى هو التقرب إلى الله سبحانه، والمودّة في القربى هي التودّد إليه تعالى بالطاعة والعمل الصالح والتقرب، فالمعنى: لا أسألكم عليه أجرًا إلا أن تودّدوا إليه تعالى بالتقرب إليه[١١].

وفيه أنّ في قوله: «إلّا المودّة في القربى» على هذا المعنى إبهاما لا يصلح به أن يُخاطَب به المشركون فإن حاق مدلوله التودّد إليه –أو ودّه تعالى– بالتقرّب إليه، والمشركون لا ينكرون ذلك بل يرون ما هم عليه من عبادة الآلهة تودّدًا إليه بالتقرّب منه، فهم القائلون على ما يحكيه القرآن عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]،﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ﴾[يونس:١٨][١٢].

فسؤال التودّد إلى الله بالتقرّب إليه من غير تقييده بكونه بعبادته وحده، وجعل ذلك أجرًا مطلوبًا ممّن يرى شركة نوع تودّد إلى الله بالتقرّب إليه، و خطابهم بذلك على ما فيه من الإبهام – والمقام مقام تمحيضه (ﷺ) نفسه في دعوتهم إلى دين التوحيد لا يسألهم لنفسه شيئا قط – ممّا لا يرتضيه الذوق السليم.

والإشكال السابق على حاله ولو فُسّرت المودّة في القربى بموادة الناس بعضهم بعضًا ومحبتهم في التقرب إلى الله بأن تكون القربات أسبابًا للمودّة و الحب فيما بينهم فإن للمشركين ما يماثل ذلك فيما بينهم على ما يعتقدون[١٣].

وقيل: المراد بالمودّة في القربى مودّة الأقرباء، والخطاب لقريش أو لعامة الناس و المعنى: لا أسألكم على دعائي أجرًا إلّا أن تودّوا أقرباءكم[١٤].

وفيه أنّ مودّة الأقرباء على إطلاقهم ليست ممّا يندب إليه في الإسلام قال تعالى:﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْه﴾ [المجادلة: ٢٢]، وسياق هذه الآية لا يلائم كونها مخصّصة أو مقيّدة لعموم قوله: «إلا المودّة في القربى» أو إطلاقه حتى تكون المودّة للأقرباء المؤمنين هي أجر الرسالة على أنّ هذه المودّة الخاصّة لا تلائم خطاب قريش أو عامّة الناس[١٥].

بل الذي يفيده سياق الآية أنّ الذي يندب إليه الإسلام هو الحب في الله سبحانه من غير أن يكون للقرابة خصوصية في ذلك، وإن كان هناك اهتمام شديد بأمر القرابة والرحم، لكنّه بعنوان صلة الرحم وإيتاء المال على حبّه ذوي القربى لا بعنوان مودّة القربى، فلا حب إلّا لله عزّ اسمه. ولا مسوغ للقول بأنّ المودّة في القربى في الآية كناية عن صلتهم والإحسان إليهم بإيتاء المال؛ إذ ليس في الكلّام ما يدفع كون المراد هو المعنى الحقيقي غير الملائم لما ندب إليه الإسلام من الحبّ في الله سبحانه[١٦].

وقيل: المراد بالمودّة في القربى، مودّة قرابة النبي (ﷺ)، وهم عترته من أهل بيته (عليهم السلام). وقد وردت به روايات من طرق مختلفة منأبناء العامة ومن الشيعة على تفسير الآية بمودّتهم وموالاتهم، و يؤيده الأخبار المتواترة من طرق الفريقين على وجوب موالاة أهل البيت (عليهم السلام) ومحبّتهم[١٧]. ويقوي ذلك قول الإمام الرضا(عليه السلام) في تفسير الآية، فكان ممّا قال:((ما بعث الله عزّ وجلّ نبيًّا إلا أوحى إليه أنّ لا يسأل قومَه أجرًا؛ لأنّ الله يُوَفّي أجر الأنبياء، ومحمد ﷺ فرض الله عزّ وجلّ مودّةَ قرابته على أُمته ، وأمره أن يجعل أجرَه فيهم، لِيَودّوه في قرابته، لمعرفة فضلهم الذي أوجب الله عزّ وجلّ لهم، فإنّ المودّة إنّما تكون على قدر معرفة الفضل، فلما أوجب الله تعالى ذلك ثقل لثقل وجوب الطاعة، فأخذ بها قوم أخذ الله ميثاقهم على الوفاء، وعاند أهل الشقاق والنفاق، وألحدوا في ذلك، فصرفوه عن حدّه الذي قد حده الله تعالى، فقالوا: القرابة هم العرب كلّها، وأهل دعوته، فعلى أي الحالتين كان، فقد علمنا أنّ المودّة هي للقرابة، فأقربهم من النبي (صلّى الله عليه وآله) أولاهم بالمودّة، وكلّما قربت القرابة كانت المودّة على قدرها))[١٨].

ولعلّ هذا هو المنسجم مع ما تدلّ عليه الآية؛ ذلك لأنّ المعروض على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

أجر على التبليغ، بعد أنّ أتوه المهاجرون والأنصار بمال جمعوه لمعونته. ولأنّ النبي (ﷺ) كان يأمر المسلمين بأن يودوا قرابته ويتبعوهم، وأنّ المسلمين عليهم أن يمتثلوا هذا الأمر لينتفعوا به؛ لأنّ الفائدة من مودّة القربى تعود إليهم. فالنبي (ﷺ) قد أوضح أنّ ما سأله من أجر هو راجع نفعه إلى عامة المسلمين لا إليه، ومصداق ذلك قوله تعالى((قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)) [سبأ: ٤٧].

ثمّ التأمّل الكافي في الروايات المتواترة الواردة من طرق الفريقين عن النبي (ﷺ) المتضمّنة إرجاع الناس في فهم كتاب الله بما فيه من أصول معارف الدين وفروعها وبيان حقائقه، إلى أهل البيت (عليهم السلام) كحديث الثقلين وحديث السفينة وغيرهما، لا يدع ريبًا في أنّ إيجاب مودتهم و جعلها أجرًا للرسالة إنّما كان ذريعة إلى إرجاع الناس إليهم فيما كان لهم من المرجعية العلمية[١٩].

فالمودّة المفروضة على كونها أجرًا للرسالة لم تكن أمراً وراء الدعوة الدينية من حيث بقاؤها ودوامها، فالآية في مؤدّاها لا تغاير مؤدّى سائر الآيات النافية لسؤال الأجر.

ويؤوّل معناها إلى أنّي لا أسألكم عليه أجرًا إلا أنّ الله لما أوجب عليكم مودّة عامة المؤمنين و من جملتهم قرابتي فإنّي أحتسب مودّتكم لقرابتي وأعدها أجرًا لرسالتي، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦]، وقال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١][٢٠].

ويؤيد هذا المعنى، ما جاء في أسباب النزول للسيوطي بعد نزول آية المودّة ((فقال بعضهم إنّما قال هذا ليقاتل عن أهل بيته وينصرهم فأنزل الله:﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى

عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ إلى قوله:﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ فعرض لهم التوبة إلى قوله:﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِه﴾))[٢١].

ثانياً : الإشاريات :

تنتسب الإشاريات إلى حقل تداولية الدرجة الأولى، وتُعد عنصرًا لغويًا مهمًا في التحليل التداولي؛ ((لأنّها تهتم مباشرة بالعلاقة بين تركيب اللغات والسياق الذي تستخدم فيه))[٢٢] إذ تعتمد عليه كلّيًّا، ولا يستطاع تفسيرها بمعزل عنه[٢٣]، فهي ((العلامات اللغويّة التي لا يتحدّد مرجعها إلا في سياق الخطاب التداولي ؛ لأنّها خالية من أي معنى في ذاتها ، فبالرغم من ارتباطها بمرجع، إلّا أنه مرجع غير ثابت))[٢٤]. فهو محكوم عليه بالتغير بتغير السياق .

فالإشاريات هي ((تلك الأشكال الإحالية التي ترتبط بسياق المتكلّم مع التفريق الأساس بين التعبيرات الإشارية القريبة من المتكلّم مقابل التعبيرات الإشارية البعيدة عنه))[٢٥]. وقد فطن النحويون العرب قديمًا إلى ذلك ، فأطلقوا على المكونات الإشارية كالضمائر وأسماء الإشارة والموصولة اسم (المبهمات)[٢٦] .

فالإشاريات تعين المتكلّم على الإشارة لتمكين المتلقّي من تحديد أشياء عدة في عالم الخطاب[٢٧] موكولة إلى سياقها ، فهي تأخذ دلالة جديدة في كلّ وضعية جديدة ؛ لأنّها غير محدّدة الدلالة أصلاً[٢٨] .

وقد اتفق ((أغلب الباحثين على أنّ الإشاريات خمسة أنواع : إشاريات شخصية ،

وإشاريات زمانية ، وإشاريات مكانية ، وإشاريات اجتماعية ، وإشاريات خطابية أو نصية ، واقتصر بعضهم على الثلاثة الأُول ، وبعضهم على الأربعة الأُخر))[٢٩] .

وقد اشتملت آية المودّة على إشارية شخصية، وإشارية زمانية، وأخرى مكانية، كما سيتضح .

١-الإشاريّة الشخصيّة :

هي أحد الميادين المكوّنة لمقام التلفظ[٣٠]، تدلّ على شخص المتكلّم، أو المخاطب، أو الغائب، في حالة الإفراد والتثنية والجمع[٣١] .

ونجد الضمائر ماثلة في آية المودّة، وهي أوضح ما يدلّ على الإشاريات الشخصية، ولاسيما ضمائر الحاضر (المتكلّم، وضمائر المخاطب بفروعها)، فهي دائمًا عناصر إشارية، لكن السياق لازم لمعرفة من المتكلّم أو المخاطب الذي تحيل عليه . أما ضمير الغائب، فيدخل في الإشاريات إذا كان حرًّا، أي لا يُعرف مرجعه من السياق اللغويّ، فإذا عُرف غادر الإشاريات[٣٢].

وقد ربطت ضمائر الحضور والغياب التي انطوت عليها الآية السياق اللفظي بالمقام. وأول ضمائر الآية، ضمير الخطاب المستتر في قوله تعالى ((قُلْ)) فهذا الفعل للمخاطب، والخطاب من الله تعالى، وفيه إشارية تداولية؛ بسبب من عدم ذكر اسم المخاطب، وهو رسول الإسلام نبينا محمد ﷺ استنادًا إلى ما يدل عليه الحال؛ إذ إنّه مأمور بالجواب بـ(قل). قال البقاعي: ((كأنّه قيل: ماذا تطلب على هذه البشارة، فأُمر بالجواب بقوله (قل) أي لمن توهم فيك ما جرت به عادة المبشرين))[٣٣] .

وانطوى الفعل المنفي في قوله تعالى ((لا أسألكم)) على ضمير المتكلّم المستتر وهو

النبي ﷺ وكأنّه يقول : لا أسألكم أنّا، إذ يمثّل ضمير المتكلّم الباث وهو مركز المقام الإشاري[٣٤]. ويدلّ على الذاتية والمكانة، ويُعدُّ أخصّ المعارف من بين الضمائر الأخرى؛ لأنّه لا يشترك فيه اثنان ، فلا يذهب المخاطب إلى تصور غير المتكلّم، إذ يحيل مباشرةً على وظائف المستعملين للغة في مقام التخاطب[٣٥].

وكذلك اشتمل قوله (لا أسألكم) على ضمير المخاطب المتصل، وهو كاف الخطاب مع علامة الجمع (الميم). وفيه إشارية تداولية تتعلق بخطاب موجه إلى المسلمين -المهاجرين والأنصار- الذين أتوا النبي صلّى الله عليه وآله بمالٍ جمعوه لمعونته ، فكان في الآية التفات من الغيبة إلى الخطاب -وهو في علم المعاني الانتقال من ضمير إلى ضمير في أثناء الكلّام- إذ تصدّر الآيةَ قولُه تعالى: ((ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)) .

وثمَّ ضمير آخر في الآية، هو ضمير الغائب في قوله تعالى ((عليه)). ويُعدّ من العناصر الإشارية الأكثر إبهامًا، لذلك يحتاج إلى مفسّر ومبيّن يعود عليه، كما يرى النحويون[٣٦]، والتداوليون[٣٧]. وهو حرٌّ يحيل على مقام خارجي غير مذكور في السياق اللغويّ، فالهاء يؤشر إلى تبليغ الرسالة والدعوة الدينية، أو بتعبير آخر، البلاغ وما فيه من بشارة ونذارة[٣٨]. وبذلك أشار الضمير إلى عنصر خارجي يندرج ضمن علاقات الامتداد الخارجية للنص[٣٩] .

٢-الإشارية الزمانية :

عبَّر عنها جان سيرفوني بـ((زمن الملفوظية، أي الزمن الذي يتحدّد فيه

الحدث الذي هو إنتاج الملفوظ ، ويمكن الإشارة إليه داخل الملفوظ نفسه))[٤٠] .

وبهذا تكون الإشاريات الزمانية من العلامات اللغويّة التي لا يتعين مرجعها إلا بضمن سياق الخطاب التداولي؛ لكونها مبهمة لا تمتلك معنى في ذاتها مع ارتباطها بمرجع ما، ولكون مرجعها غير ثابت بل متحول بتحول الزمن الواقعي في عالم غير لغويّ[٤١].

وقد اشتمل قوله تعالى ((لا أسألكم)) على تأشير زماني، قال البقاعي: ((لا أسألكم، أي الآن ولا في مستقبل الزمان))[٤٢] . وهو سؤال تمَّ آنذاك في زمن التلفظ .

٣-الإشارية المكانية :

لقد وردت الإشاريات المكانية في العربيّة ضمن الظروف المكانية من نحو: (وراء، وأمام، وفوق، وتحت) والمورفيمات الجارة من نحو: (على، وفي) وفصيلة أسماء الإشارة التي تحوي أسماءً ذات أبعاد مكانية تبين الأحياز الموقعية للأشياء والذوات في العالم الخارجي[٤٣]، فهي بين أن تكون مكانية أو شخصية، لكنّها لا تبرح إشارتها للمكان، فنوع الإشارية مرتبط بالسياق الذي يوجهها، أو بحسب المشار إليه بها الوارد في سياق الكلّام .

ولعلّ الإشارة المكانية تكمن في قوله تعالى((في القربى))، قال الزمخشري: ((فَإِنْ قُلْتَ: هَلَّا قِيلَ إِلَّا مَوَدَّةَ الْقُرْبَى، أَوْ إِلَّا الْمَوَدَّةَ لِلْقُرْبَى؟ قُلْتُ: جَعَلُوا مَكَانًا لِلْمَوَدَّةِ وَمَقَرًّا لَهَا، كَقَوْلِكَ: لِي فِي آلِ فُلَانٍ مَوَدَّةٌ، وَلِي فِيهِمْ هَوًى وَحُبٌّ شَدِيدٌ، تُرِيدُ: أُحِبُّهُمْ وَهُمْ مَكَانُ حُبِّي وَمَحَلُّهُ. وَلَيْسَتْ (فِي) بِصِلَةٍ لِلْمَوَدَّةِ كَاللَّامِ، إِذَا قُلْتَ إِلَّا

الْمَوَدَّةَ لِلْقُرْبَى، إِنَّمَا هِيَ مُتَعَلِّقَةٌ بِمَحْذُوفٍ تَعَلَّقَ الظَّرْفِ بِهِ فِي قَوْلِكَ: الْمَالُ فِي الْكِيسِ، وَتَقْدِيرُهُ: إِلَّا الْمَوَدَّةَ ثَابِتَةً فِي الْقُرْبَى وَمُتَمَكِّنَةً فِيهَا))[٤٤]، وعقّب الأندلسي على هذا القول بقوله:((وَهُوَ حَسَنٌ وَفِيهِ تَكْثِيرٌ))[٤٥]. وتابع الألوسي هذا المعنى قائلًا:((وفِي للظرفية المجازية. والْقُرْبى بمعنى الأقرباء، والجار والمجرور في موضع الحال أي إلّا المودّة ثابتة في أقربائي متمكنة فيهم، ولمكانة هذا المعنى لم يقل: إلا مودّة القربى))[٤٦].

فالجار (في) حدّد مكان المودّة وشخّص فيمن تجري، فحقق إشاريتين أحدهما مكانية، وأخرى شخصية في آن واحد.

ثالثاً : المعنى التواصلي لآية المودّة:

تتجه تداولية الدرجة الثانية إلى معالجة المعنى التواصليّ والدلالة الضمنية للقول، متجاوزةً المعنى الحرفي أو المعجمي فيه، فهي تدرس العلاقات الرابطة بين الملفوظ ومقتضاه، أو بتعبير آخر، بين الكلّام والقصد منه بالاستناد إلى سياق التلفظ، لذلك تعد تداولية الدرجة الثانية لدى ((هانسون دراسة للطريقة التي ترتبط بها القضية بالجملة المعبّر عنها، إذ على القضية المعبّر عنها في كلّ الحالات أن تتميز عن الدلالة الحرفية للجملة))[٤٧].

١ – متضمّنات القول :

يتصل مفهوم متضمّنات القول ((برصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب ضمنية وخفية من قوانين الخطاب، تحكمها ظروف الخطاب العامة كسياق الحال وغيره))[٤٨]، ذلك أنّ معرفة متضمّنات القول وإدراك طبيعتها لا يكون إلّا بمعرفة قوانين الخطاب، وهي مجمل الشروط النفسية والموضوعية التي تحيط بالعملية التخاطبية والخطاب، بمعنى أنّ فهم الجانب الضمني والخفي من الكلّام يستوجب معرفة ضمنية بالقواعد التي من شأنها أن ينتظم بها الكلّام[٤٩].

وقد دأب معظم التداوليين على إدراج نمطين في متضمّنات القول، هما: الافتراض المسبّق، والقول المضمر[٥٠] .

أ–الافتراض المسبّق :

يعرّفه ديكرو بأنّه((جزء لا يتجزأ من معنى الكلّام، إذ لا أحد يمكن أن يتكلّم دون أن يكون لكلّامه افتراض، إلى درجة أنّ فعل الافتراض يشكّل الفعل الأساسي للكلّام))[٥١]. وينطلق من فكرة تداولية مؤدّاها((أنّ المتكلّمين يفترضون أنّ مستمعيهم عارفون ببعض المعلومات))[٥٢]، وهذه المعلومات لا تُذكر أو مسكوت عنها ولم يفصح عنها المتكلّم؛ لكونها تُعامل على أنّها معروفة، لذا تعدُّ جزءًا ممّا يوصله المتكلّم من دون قوله[٥٣].

وقد دلّ مضمون آية المودّة على وجود افتراض مسبّق مفاده حصول محادثة وعرض وردّ بشأن أجر الرسالة وأتعابها بين المسلمين وحضرة النبي (ﷺ)؛ لأنّ الشائع والمتعارف عليه أنّ لكلّ عمل أجرًا أو مقابلًا يجزى به عامله .

إنّ الافتراض المسبّق ذو طبيعة لسانية، يُحدّد على أساس معطيات لغوية، بمعنى أنّه يمكن إدراكه عن طريق العلامات اللغويّة التي يتضمّنها القول سواء تُلفظ بالقول إثباتًا أم نفيًا أم استفهامًا[٥٤]. وقد صنّف جورج يول الافتراض السابق إلى أنواع عدة، منطلقًا من ربطه باستعمال عدد كبير من الكلّمات والعبارات والبنى التي عدّها مؤشرات لافتراضات سابقة كامنة، يمكنها أن تصبح افتراضات سابقة إمّا واقعية أو غير واقعية، أو وجودية، أو معجمية أو بنيوية أو غيرها[٥٥].

فقوله تعالى ((لا أسألكم)) ينبئ بإمكانية السؤال والطلب من المخاطبين؛ لاستجابتهم الدعوة الدينية، وتنكير المفعول به في قوله تعالى((أجرًا)) للدلالة على قلته، أي وإن قلّ لا أسألكموه، لكن أسألكم المودّة، وهي المحبّة العظيمة الواسعة[٥٦]. وتعريف قوله (القربى) يتضمّن افتراضًا مسبّقًا أنّ هناك قربى محدّدة، وأنّ المتكلّم والمخاطب على علم بطبيعة هذه القربى، وقد جرت بشأنهم أحاديث وأحداث، وهم العترة. ويعلّل سيبويه تعريف المعرّف بـ(أل) بقوله: ((إنّما صار معرفة لأنّك أردت بالألف واللام الشيء بعينه دون سائر أمته، لأنّك إن قلت: مررتُ برجلٍ، فإنّك إنّما زعمت أنّك إنّما مررت بواحدٍ ممّن يقع عليه هذا الاسمُ، لا تريد رجلًا بعينه يعرفه المخاطَب. وإذا أدخلتَ الألف واللام فإنّما تُذكّره رجلا قد عرَفه، فتقول: الرجل الذي من أمره كذا وكذا؛ ليتوهم الذى كان عهدَه ما تذكر من أمره))[٥٧]. فمن أغراض التعريف بـ(أل) ((تعيين واحد من أفراد الجنس كقولك (أقبل الرجل) و (اشتريت الكتاب) ولا تقول ذلك إلا إذا كان المخاطب يعرف الرجل، أما أن يكون رآه أو جرى حديث عنه، أو نحو ذلك، ولا تقول ابتداءً فلا تقول لمخاطبك (أقبل الرجل) وهو لا يعرفه، ولم يجرِ له سابق ذكر. وكذلك قولك (اشتريت الكتاب) فإنّه لا يجوز أن تقول ذلك لمخاطبك إذا كان لا يعرف شيئا

عن الكتاب، ولم يجر له ذكر))[٥٨]. فالركيزة اللغويّة على تنوّع مستوياتها هي الدالة والمسؤولة عن وجود الافتراض[٥٩] .

وربما يحتمل دخول الألف واللام للدلالة على امتداد المودّة لعموم قربى النبي (ﷺ) في مختلف الزمان والمكان، وليس على المعاصرين له فحسب فيما لو جاء التعبير بإضافة ياء المتكلّم (قرباي) بدلًا من (القربى) .

ب-القول المضمر :

يمثّل القول المضمر النمط الثاني من متضمّنات القول، وقد عرّفته أوريكيوني بأنّه ((كلّ المعلومات القابلة للنقل عبر قولٍ معين والتي يبقى تفعيلها خاضعًا لبعض خاصيّات السياق التعبيري الأدائي))[٦٠]. فهو يرتبط بوضعية الخطاب ومقامه وملابساته ، ويفسح المجال((لتنوع الأقوال في سياق الخطاب المقامي، فتكثر المسائل المتعلقة بالقضية الواحدة، وكلّ مسألة تختلف عن الأخرى، لتناولها جانبًا فرضته مقولات طرحها السياق الخارجي))[٦١]. ويرى ديكرو أنّ مميزات القول المضمر أنّه غير مستقر، وهو تابع للحال الصادر بضمنها، ويُعرف عن طريق عملية استنتاجية لسياق الخطاب، ويتوقف وجوده على تدخل قوانين الخطاب، ولاسيّما قانون الشمول وقانون الإخبارية[٦٢]. وللوصول إلى استنتاجه وتأويله يحتاج المتلقّي إلى ملكة بلاغية تداولية موسوعية منطقية (كفاءة لغوية وتداولية)، وإلى معطيات السياق[٦٣].

وقد انطوت آية المودّة على أقوال مضمرة يمكن تلخيصها بالآتي:

-إنّ التوصية بمراعاة العترة (عليهم السلام) أمر من الله تعالى، ليس نابعًا عن رغبة أو ميول

شخصية عاطفية يكنّها النبي (ﷺ) لقرباه ليأمر بذلك.

-لا يريد النبي (ﷺ) مالًا ولا رياسةً .

-أنّ لا تسأل ممّن ليس لديه استجابة للرسالة، أو لا يكون أهلًا للسؤال والطلب .

-على المؤمنين أن يتّبعوا عترة النبي (ﷺ) ويتمسّكوا بهم في دينهم ودنياهم.

-عترة النبي (ﷺ) سيتعرضون للظلم برغم الأمر بمودتهم ومحبتهم الواسعة .

-لا تظلموهم ولا تجعلوهم وراء ظهوركم .

-تعلّموا منهم ولا تعلّموهم لأنّهم أعلم منكم .

-مودّة قربى النبي (ﷺ) لا تنحصر بمن عاصره منهم، بل تجري في ذريته من الأئمة الهادين المهديين من آله .

٢-الاستلزام الحواري :

هو ((المعنى التابع للدلالة الأصلية للعبارة))[٦٤]، أو((ما يرمي إليه المتكلّم بشكلّ غير مباشر، جاعلاً مستمعه يتجاوز المعنى الظاهري لكلّامه إلى معنى آخر))[٦٥] أو إنّه ((شيء يعنيه المتكلّم، ويوحي به ويقترحه، ولا يكون جزءًا ممّا تعنيه الجملة بصورة حرفية))[٦٦]. فهو جسر يربط ما بين التعبير والاستنتاج؛ لذلك سُمي بالاستنتاج الجسري[٦٧].

لقد ((ظهر مفهوم الاستلزام الحواري مع غرايس، الذي حاول أن يضع نحوًا قائمًا على أسس تداولية للخطاب، تأخذ بعين الاعتبار كلّ الأبعاد المؤسسة

لعملية التخاطب، فهو يؤكّد أنّ التأويل الدلالي للعبارات في اللغات الطبيعية أمر متعذّر إذا نُظر فيه فقط إلى الشكلّ الظاهري لهذه العبارات))[٦٨] .

وقد فرّق غرايس بين المعنى الدلاليّ الذي يعتمد على الاستلزام العرفي العام للقول من معنى معجمي وعلاقات نحوية، والمعنى التداوليّ التواصلّي الذي يستلزمه الحوار وهو استلزام خاص غير العرفي، يمثّل حاصل علاقة القول بالسياق والظروف الخاصة بمقام التواصل[٦٩]. وهذا الاستلزام يقوم على خرق مبدأ التعاون بين المتخاطبين، المبدأ الذي يضم قواعد ومقولات وضعها غرايس يمكن إيجازها بالآتي[٧٠]:

١- مقولة الكم (القَدْر) : وهي كمية المعلومات التي ينبغي توفيرها، ويكون الإسهام فيها على قدر المطلوب. وتضمُّ قاعدتين، الأولى: لا زيادة، والأخرى لا نقصان .

٢- مقولة الكيف : وتتمثّل بالمساهمة الصادقة. ولها قاعدتان، الأولى: لا تقل ما تعتقد أنّه كاذب. والأخرى: لا تقل ما تفتقر الحجة الكافية عليه .

٣- مقولة الصلة أو المناسبة : أي ما له صلة بالموضوع .

٤- مقولة الطريقة : صياغة التعبير وأسلوبه فليكن واضحًا مرتّبًا غير ملبس .

وبالعودة إلى آية المودّة نجد أنّها خرجت عن مقولة المناسبة بعدم الملاءمة بين منطوق الخطاب وحال المتلقّي له؛ إذ إنّ المعهود بالأجر دفع المال مقابل عمل تمَّ إنجازه، أو إزاء خدمة قُدمت، وهو ما فعله المسلمون -المهاجرون والأنصار- إذ أتوا النبي (ﷺ) بمالٍ جمعوه، ردّه النبي ورفضه بأمر من الله عزّ وجلّ، فقد تغيّر

موضوع الأجر من شيء يتعلق بالمال إلى موضوع آخر يتعلّق بمودّة قربى النبي (ﷺ)، وهذا التغيّر، كما يرى التداوليون، يكون فيه خرقًا وخروجًا عن مقولة المناسبة أحد أركان مبدأ التعاون الغرايسي تمثّل برفض الأجر المالي وعدم طلب شيء ممّا في أذهان المخاطبين في حضرة النبي (ﷺ) .

وفي هذا الخرق أو الخروج عن المناسبة تأدية لمعانٍ مستلزمة يفهمها المتلقّي ويستنتجها، منها وجوب حب آل النبي ﷺ[٧١]، فكأنّ المعنى المستلزم على لسان النبي ((أنّي لا أسألكم عليه أجرًا إلا أنّ الله لما أوجب عليكم مودّة عامة المؤمنين ومن جملتهم قرابتي، فإنّي أحتسب مودتكم لقرابتي وأعدها أجرًا لرسالتي، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦] وقال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة:٧١]))[٧٢].

ويترتب على هذه المودّة وجوب الاتّباع؛ فالمحبّة وحدها لا تكفي، فهي كمن توضأ ولم يصلِ، فما نفع الوضوء من دون صلاة ! .

٣-الحجاج :

يفرّق اللسانيّ الفرنسيّ (ديكرو) بين معنيين للحجاج، المعنى الاعتيادي والمعنى الفني أو الاصطلاحي. فأما الحجاج بمعناه الاعتيادي، فهو طريقة عرض الحجج وتقديمها، ويستهدف التأثير في السامع، فيكون الخطاب بذلك ناجعًا فعّالاً، وهذا معيار أول لتحقّق السمة الحجاجية، غير أنّه ليس معيارًا كافيًا، إذ يجب عدم إهمال طبيعة السامع، فنجاح الخطاب يكمن في مدى مناسبته للسامع، ومدى قدرة التقنيات الحجاجية المستعملة على إقناعه إلى جانب استثمار الناحية النفسية في

السامع من أجل تحقيق التأثير المطلوب فيه. وأما المعنى الآخر-وهو المتوخّى عنده- فيدلّ على صنف مخصوص من العلاقات المُودَعة في الخطاب والمدرجة في اللسان، ضمن المحتويات الدلالية. والخاصية الأساس للعلاقات الحجاجية أن تكون دَرَجيّة (سُلّمية) أو قابلة للقياس بالدرجات، أي أن تكون واصلة بين سلالم[٧٣] .

فالحجاج عند (ديكرو) منصبّ على اللغة، أو أنّ اللغة يكون الحجاج كامنًا فيها، بل إنّها حجاج محض[٧٤].

ومن الأدوات اللغويّة التي يتحقّق بها الحجاج بالسلم الحجاجي هي العوامل الحجاجية[٧٥]؛ إذ تقوم بتأدية وظيفة حصر الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما وتقييدها، فهي لا تربط بين متغيرات حجاجية، أي بين حجّة ونتيجة أو بين مجموعة حجّج. وأبرز ما تضمّ مقولة العوامل جُلّ أدوات القصر[٧٦].

إذ تضمّن الخطاب في آية المودّة حجّة تخدم نتيجة، وقام العامل الحجاجي (لا...إلّا) بحصر الإمكانات الحجاجية فيه، ليوجّهه وجهة واحدة لا يحتمل غيرها، فدخول مثل هذا العامل على الملفوظ من شأنه أن يخرجه من الخبرية أو الإبلاغية -مستوى الوصف والإبلاغ- إلى الحجاجية، وتوجيه الخطاب نحو نتيجة بعينها فضلاً عن تضييق مدى الغموض وتعدّد المعاني والاستلزامات[٧٧].

فالذي حكاه النبي (ﷺ) عن الله تعالى في الآية أراد إقناع المتلقّي بأنّ سؤال الأجر ينحصر في المودّة، وذلك للحضّ على الاعتصام بعترة النبي ﷺ، فجاءت الحجة لخدمة نتيجة واحدة هي مودّة القربى. وبدا من ذلك أيضًا أنّ القيمة الخبرية لم تتأثر بفعل العامل الحجاجي الموجود، فلو كان قوله -على سبيل الفرض- أجري

عليه مودّة القربى، لكان المعنى نفسه من حيث الخبر، لكن القيمة الحجاجية هي التي تأثرت وتغيرت بذلك العامل، لقيامه بحصر الإمكانات الحجاجية للقول، فأبعد سائر الحجج المتعلّقة بالأجر من مال أو جاه أو سلطان، فأدى العامل وظيفته في ((تحديد التوجيه الحجاجي للجملة، وذلك بانتقائها صيغًا محورية ملائمة للسلسلة الحجاجية))[٧٨]، فضلًا عن ((الحد من غموض الخطاب ومن تعدد نتائجه، وذلك بوضع المتلقّي أمام نتيجة واحدة مقصودة، ومن ثَمَّ القضاء على كلّ استلزام لا يعضّد تلك النتيجة))[٧٩].

فتوخي القصر في التعبير يكون ردًّا على كلّام سابق، يدحض به المتكلّم موقفًا مغايرًا للمخاطب، ويثبت المعنى المراد تأكيده تأكيدًا يقطع شك المخاطب ويزيله نهائيًا.

رابعاً : الفعل الكلّامي في آية المودّة :

يُراد بالفعل الكلّامي الإنجاز الذي يؤدّيه المتكلّم بمجرد نطقه أو تلفظه بملفوظات معينة، إذ إنّ أبرز ما يمثّل الفعل الكلّامي ويحققه هو الفعل الإنجازي الذي يكاد يساويه[٨٠]، ذلك أنّ((الحقيقة الوحيدة التي تُسند إليها الأفعال الكلّامية هي الإنجاز))[٨١]. ومن هنا كان أوستن قد وجّه عنايته إلى الفعل الإنجازي، بوصفه العمدة والركيزة في الكلّام وارتباطه بمقصد المتكلّم، فهو الذي يحمل قصد المتكلّم حتى أصبح لب نظرية أفعال الكلّام، التي أصبحت تُعرف به أيضًا فيطلق عليها أحيانًا نظرية الفعل الإنجازي[٨٢]. ثمّ جاء سيرل ليطور ما شرع به أستاذه أوستن،

ولعلّ أهم ما قام به سيرل هو تمييزه بين الأفعال الإنجازية المباشرة والأفعال الإنجازية غير المباشرة، من حيث دلالتها على القوة الإنجازية المقصودة، منطلقًا من تمييز أوستن بين الأفعال الإنجازية الصريحة والأفعال الإنجازية الأولية[٨٣]. فالفعل المباشر عنده هو((الفعل الذي تطابق قوته الإنجازية مراد المتكلّم، أي أن يكون القول مطابقًا للقصد بصورة حرفية تامّة، ويتمثّل في معاني الكلّمات التي تتكون منها الجملة، وقواعد التأليف التي تنتظم بها الكلّمات في الجملة، ويستطيع المتلقّي أن يصل إلى مراد المتكلّم بإدراكه لهذين العنصرين معًا))[٨٤]. أما الأفعال غير المباشرة، فهي ((التي تخالف فيها قوتها الإنجازية مراد المتكلّم، فالفعل الإنجازي يؤدى على نحو غير مباشر من خلال فعل إنجازي آخر، فلو أنّك قلت لصاحبك وأنتما جالسان إلى مائدة : هل تناولني الملح؟ فإنّ هذا فعل إنجازي غير مباشر إذ معناه الحرفي هو الاستفهام، وهو مصدّر بالدليل الإنجازي وهو (هل)، لكن الاستفهام غير مراد لك ، وأنّت لا تنتظر أن يجيبك صاحبك بنعم أو لا، بل مرادك أن تطلب منه طلبًا مهذبًا أن يناولك الملح))[٨٥]. وقد بنى سيرل تصنيف الأفعال الكلّامية، وجعلها خمسة أصناف أيضًا، كأوستن، هي[٨٦]:

١-الإخباريات، وهي عند أوستن الحكميات أو أفعال الأحكام المتمثلة بالتبرئة والإدانة والفهم وإصدار الأمر والإحصاء والتوقع والتصنيف والتشخيص والوصف ونحو ذلك.

٢-التوجيهيات، وهي عند أوستن التنفيذيات، كالطرد والعزل والتسمية والاتهام والاستقالة .

٣-الالتزاميات، وهي عند أوستن الوعديّات أو أفعال التكلّيف فيها إلزام المتكلّم

بإنجاز الفعل، تتمثل بالوعد والموافقة والتعاقد والنية والعزم وما له صلة بذلك.

٤-التعبيريات، وهي عند أوستن السلوكيات تتلخّص بالشكر والاعتذار والتهنئة والتعزية والتحدّي .

٥-الإيقاعيات، وهي عند أوستن العرضيات أو التفسيريات الغرض منها النقاش والحجاج والتسويغ ، إذ تعرض مفاهيم منفصلة كالتأكيد والنفي والوصف والإصلاح .

وقد اشتملت آية المودّة على أفعال كلّامية يأتي في صدرها الفعل (قُلْ) وهو فعل قوليّ توجيهيّ له سلطة، إذ ((تتحدّد سلطة أفعال الكلّام في توجهها المباشر وغير المباشر نحو المتلقّي من خلال المؤسّسة التي تنجز فيها يتحكم فيها كشروط تأسيسية مفروضة، مكانة المتكلّمين ورتبتهم ودرجاتهم في السلّم الاجتماعي والثقافي والسياسي))[٨٧]. وهو فعل مباشر من الآمر الجدير بأن يأمر وهو الله عزّ وجل إلى المأمور الجدير بأن يمتثل الأمر وهو النبي (ﷺ) . ولا يخفى أنّ الذي محّض هذا الفعل للتوجيه هو صدوره من ذي مرتبة أعلى أو من ذي سلطة إلى من هو أدنى ، فتوافر((السلطة لدى المرسل شرط أساس عند استعمال معظم آليات إستراتيجية التوجيه))[٨٨].

ويمثّل مقول القول الفعل الكلّامي الآخر محل الأمر (قل)، ورد بصيغة الإخبار والإبلاغ فهو فعل كلّامي مباشر هو دلالة الجملة على الخبر المنصوص عليه حرفيًا، وكذلك فعل كلّامي غير مباشر يتضمّن قوة إنجازية غير مباشرة مستلزمة مقاميًا هي الأمر بالمودّة .

إنّ التعبير عن الأمر بصورة الخبر ((أبلغ من صريح الأمر والنهي، لأنّه كأنّه سُورع إلى الامتثال والانتهاء، فهو يخبر عنه))[٨٩]، أو بعبارة أخرى ((للمبالغة لاقتضائه تحقق المأمور به، فالخبر آكد...فإذا عبر عن الأمر بالخبر لإفادة أنّ المأمور لشدة امتثاله كأنّه وقع منه ذلك وتحقق قبل الأمر كان أبلغ))[٩٠]. وبذلك حمل الخطاب قوتين إنجازيتين الأولى حرفية مباشرة وهي الإخبار والأخرى غير مباشرة، هي الأمر لإفادة التوجيه، وهو قصد المتكلّم الذي على المتلقّي إدراكه من المقام .

ولأهمية المقام التداولي ورد التعبير القرآني لآية المودّة بأسلوب القصر الذي أوقع تعديلًا أو تكييفًا في القوة الإنجازية للتعبير، لخدمة الغرض الإنجازي (التوجيه والأمر)؛ إذ تعدّلت القوة الإنجازية من إيرادها بخبر اعتيادي كأن يقال على سبيل التمثيل: أجري مودّة القربى. فهذا التعديل الذي وقع، له إستراتيجية تكمن في تثبيت المعنى وتأكيده وقصره على أمر لم يجاوزه إلى غيره. يقول بوقرة :((يقوم مفهوم القوة الإنجازية على اختلاف أثر الأفعال المنجزة بالقول في السياقات المختلفة، وتبعًا لطريقة تلقّي المستمع لها في الخطاب))[٩١].

ولهذه القوة الإنجازية علامات، سواء أكانت وسائل معجمية أم هيئات ووسائل تركيبية من نظم وبناء أسلوب، هي بمثابة مفاتيح لغوية تقود إلى تعيين القوى الإنجازية والتمييز بين درجاتها. فالقوة الإنجازية درجة، والغرض الإنجازي وظيفة، ولكلّ غرض (توجيه، وإخبار ...الخ) درجات مختلفة من القوة على وفق سياق الاتصال[٩٢] .

الخاتمة :

انتهى البحث مع الآية المباركة إلى نتائج يمكن تسجيلها بما يأتي:

١-حاولت بعض الروايات المنقولة في سبب نزول الآية صرف النظر عمّن نزلت بحقهم، فاختُلف في معنى الآية، فعلى من تقع المودّة؟ وأيّ الناس أولى بها؟؛ لأنّ القربى تارة قريش، وتارة عامة الناس، وتارة حب النبي صلّى الله عليه وآله لقريش، والحال أنّ الدلائل تشير إلى أنّها نزلت في حق عترة النبي (ﷺ) وهو المعنى الذي يستقيم وسياق الآية وينطبق عليه، إلى جانب أنّ القرآن الكريم هو الحاكم في تمييز الرواية الصحيحة من السقيمة أو قربها وبعدها ممّا يريده .

٢-بيّن البحث أنّ الإشاريات شخّصت أطراف الخطاب، وحدّدت مكانًا تستقر فيه المودّة، وشخّصت فيمن تجري، فضلاً عن زمن سؤال الأجر .

٣-أفاد الافتراض المسبّق الذي حفلت به الآية حصول محادثة وعرض وردّ يتعلق بالأجر؛ إذ لكلّ عمل أجر، وقد كشف البحث عما انطوت عليه الافتراضات الكامنة في تركيب الآية .

٤-لآية المودّة أقوالٌ مضمرة أظهرها البحث، استندت إلى السياق والكفاءة اللغويّة التداولية للمتلقّي أو المرسل إليه .

٥-لقد كان في آية المودّة خروج عن مقولة المناسبة، أو خرق الملاءمة، ولّد استلزامًا حواريًّا مفاده وجوب حب آل النبي (ﷺ)، بل واتّباعهم وعدم الاكتفاء بالمحبّة المجرّدة فقط .

٦- في توخي القصر في التعبير يستعمل للرد على كلّام سابق وحديث جارٍ يدحض به المتكلّم موقفًا مغايرًا للمخاطب، ويثبت المعنى المراد تأكيده تأكيدًا يقطع شك المخاطب ويزيله نهائيًا. فكان العامل الحجاجي (لا...إلا) لإقناع المتلقّي بأنّ سؤال الأجر ينحصر في المودّة لا في غيرها، فجاءت الحجّة لخدمة نتيجة واحدة بعد حصر الإمكانات الحجاجية في الخطاب لوجهة واحدة .

٧-اشتمل الفعل الكلّامي على قوتين إنجازيتين: الأولى حرفية مباشرة (إخبار وإبلاغ) والأخرى غير مباشرة (أمر بالمودّة) بدرجة إنجاز قوية مؤداة بوسيلة تركيبية هي أسلوب القصر .

الهوامش :

١- ينظر : فرانسواز أرمينكو المقاربة التداولية : : ٣٨ ، و عمر بلخير الخطاب تمثيل للعالم دراسة بعض الظواهر التداولية في اللغة العربيّة (الخطاب المسرحي نموذجًا): : ١٣، و علي آيت أوشان السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة: ٥٩، وأ.د. بلقاسم دفة :استراتيجية الخطاب الحجاجي دراسة تداولية في الإرسالية الإشهارية العربيّة : ٤٩٥ (بحث) .

٢- ينظر :سيد قطب : في ظلال القرآن : ٨/ ٣٧٧ .

٣- ينظر : الطباطبائي : الميزان في تفسير القرآن : ١٧و١٨/ ١٧٦ .

٤- أبو حيان الأندلسي :البحر المحيط : ٩/ ٣٢٢ .

٥- ينظر : تفسير الطبري : ٢١/ ٥٢٤ ،٥٢٥،وأسباب نزول القرآن : الواحدي:٥٩٦، وتفسير الفخر الرازي: ٢٧/ ١٦٥، والسيوطي :الدر المنثور في التفسير بالمأثور : ١٣/ ١٤٥ ،١٤٦ .

٦- الميزان في تفسير القرآن : ١٧و١٨/ ١٩٢ .

٧- ينظر : أسباب نزول القرآن: ٥٩٥ ، وتفسير الفخر الرازي : ٢٧/ ١٦٥ .

٨- الميزان في تفسير القرآن : ١٧و١٨: ١٩٢ .

٩- ينظر : نفسه .

١٠- ينظر : نفسه : ١٧و١٨/ ١٩٢-١٩٣ .

١١- ينظر : تفسير الطبري : ٢١/ ٥٢٩ ، وتفسير الفخر الرازي: ٢٧/ ١٦٦ ، والدر المنثور : ١٣/ ١٤٧.

١٢- ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ١٧و١٨/ ١٩٣ .

١٣- ينظر : نفسه.

١٤- ينظر : تفسير الطبري : ٢١/ ٥٢٩، ٥٣٠ .

١٥- ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ١٧و١٨/ ١٩٣ .

١٦- ينظر : نفسه .

١٧- ينظر : تفسير الطبري : ٢١/ ٥٢٨ ،٥٢٩، والدر المنثور :١٣/ ١٥٠، والميزان في تفسير القرآن : ١٧و١٨/ ١٩٣ ،١٩٤ .

١٨- البحراني : البرهان في تفسير القرآن : ٧/ ٨١ .

١٩- ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ١٧و١٨/ ١٩٣ .

٢٠- نفسه

٢١- السيوطي : أسباب النزول المسمّى (لباب النقول في أسباب النزول) : ٢٢٧ ، والآيات على التوالي من سورة الشورى : ٢٤-٢٦ .

٢٢- عبد الهادي بن ظافر الشهري : إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية :٨٢ .

٢٣- د. محمود أحمد نحلة :ينظر : آفاق جديدة في البحث اللغويّ المعاصر : ١٦ .

٢٤- إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية : ٨٠ ، وينظر :جاك موشلر وآن ريبول : القاموس الموسوعي للتداولية : ١١٠ .

٢٥- إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية : ٨١ .

٢٦- ينظر : إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية : ٨٠ ، وعيد بلبع : التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس : ٤١ (بحث) .

٢٧- ينظر : ذهبية حمو الحاج : لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب : ١٠٢ ، وجورج يول :التداولية : ٣٩ .

٢٨- ينظر : أ.علجية أيت بو جمعة : التداولية دراسة في المجالات والفروع : ١٦٧ (بحث) .

٢٩- آفاق جديدة في البحث اللغويّ المعاصر : ١٧ ، وينظر : حمادي مصطفى : تداولية الإشاريات في الخطاب القرآني مقاربة تحليلية لكشف المقاصد والأبعاد : ٦٥ (بحث) . وقد حصرها ولفنسون في خمسة أنواع من الإشاريات كما قال د.نعمان بوقرة ، ينظر : المصطلحات الأساسية في اللسانيات وتحليل الخطاب : ٨٧ .

٣٠- ينظر : باتريك شارودو ، ودومنيك منغنو : معجم تحليل الخطاب : ١٥٦ .

٣١- ينظر : إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية : ٨٢ .

٣٢- ينظر : آفاق جديدة في البحث اللغويّ المعاصر : ١٧ ، ١٨ ، والتداولية دراسة في

المجالات والفروع : ١٦٧ . وبذلك تفترق الإشاريات عن الإحالة في أنّ الأخيرة تعنى بالسياق اللغويّ والمقامي (الخارجي) في حين تعوّل الإشاريات على المقام كثيرًا، ينظر: الأزهر الزناد : نسيج النص ، بحث فيما يكون به الملفوظ نصًا:١١٦.

٣٣- البقاعي : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور :١٧/ ٢٩٥-٢٩٦ .

٣٤- ينظر : نسيج النص، بحث فيما يكون به الملفوظ نصًا : ١١٧ .

٣٥- ينظر :أ. سلاف بعزيز : المرجعيات الشخصية في سورة البقرة من منظور اللسانيات التداولية : ٣٤٨ .

٣٦- ينظر : كتاب سيبويه : ٢/ ٧٧ ، ٧٨ ، و ابن يعيش: شرح المفصل : ٢/ ٢٩٣، وأبو حيان الأندلسي : ارتشاف الضرب من لسان العرب : ٢/ ٩٤١.

٣٧- ينظر : إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية : ٨١، ومانغونو : المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب : ١٢٣.

٣٨- ينظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : ١٧/ ٢٩٦، والميزان في تفسير القرآن : ١٧و١٨/ ١٩١ .

٣٩- ينظر : د.صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص : ٢٤٢ .

٤٠-جان سيرفوني : الملفوظية : ٣٥-٣٦ .

٤١- ينظر : د .لخوش جار الله حسين :التأشير والتباعد بين القدماء والمحدثين مقاربة تداولية : ٤٥٥ .

٤٢- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : ١٧/ ٢٩٦ .

٤٣- ينظر : التأشير والتباعد بين القدماء والمحدثين مقاربة تداولية : ٤٥٤ .

٤٤- الزمخشري :الكشاف : ٥/ ٤٠٤ ، وينظر : البحر المحيط : ٩/ ٣٣٥ .

٤٥- البحر المحيط : ٩/ ٣٣٥ .

٤٦- الألوسي : روح المعاني : ١٣/ ٣١ .

٤٧- المقاربة التداولية : ٥١ .

٤٨- د.مسعود صحراوي : التداولية عند العلماء العرب : ٣٠ .

٤٩- ينظر : الخطاب تمثيل للعالم دراسة بعض الظواهر التداولية في اللغة العربيّة الخطاب

المسرحي نموذجًا : عمر بلخير: ١٠٨ . والقواعد هي الآليات التي تتحكم في الحديث، ترجع أسسها إلى ما سمّاه غرايس أحكام المحادثة ، التي أعاد ديكرو صياغتها باسم قوانين الخطاب، وهي مكملة للقواعد التركيبية-الدلالية ، وتتجلى في أنّ حكم المناسبة يساوي قانون الإفادة، وحكم الصدق يساوي قانون الصدق ، وحكم الكمية يساوي قانون الإخبارية، وحكم البيان والوضوح يساوي قانون الشمول. وهذه القوانين –ولاسيما الإخبارية والشمول منها- تتدخل في تحديد المفاهيم وفي طبيعة الأقوال التي تنطوي على متضمنات القول . ينظر : نفسه : ٩٥ ، ٩٩ ، ١٠٨.

٥٠- ينظر :حمو الحاج ذهبية : الخطاب تمثيل للعالم دراسة بعض الظواهر التداولية في اللغة العربيّة الخطاب المسرحي نموذجًا : ١٠٩ ، والتداولية عند العلماء العرب : ٣٠ ، ٣٢ ، ولسانيات التلفظ وتداولية الخطاب : ١٣٥ ، ١٣٦ ، و أ. حورية رزقي : خصائص الدرس التداولي في الخطاب التربوي :٢٠٢.

٥١- د.هشام صويلح : الافتراض المسبق في الدرس التداولي أنّماط وتطبيقات : ١٣٨ (بحث) .

٥٢- التداولية : ٥١ .

٥٣- ينظر : نفسه .

٥٤- ينظر : د.حورية رزقي : البعد التداولي في تأويل المعنى المضمر : ٧٩ .

٥٥- ينظر : التداولية : ٥٤-٥٨ . وقد ذكر ليفنسون أنّ أحدهم، وهو (كارتونين) أوغل في ذلك وجمع زهاء الواحد والثلاثين صنفًا من عمليات الافتراض . ينظر :أوريكيوني : المضمر : ٧١ الهامش رقم ٥٩ .

٥٦- ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : ١٧/ ٢٩٦ .

٥٧- كتاب سيبويه : ٢/ ٥ .

٥٨- د.فاضل السامرائي : معاني النحو : ١/ ١٠٨ .

٥٩- ينظر : المضمر : ٧١ ، ٧٣ ، ومعجم تحليل الخطاب : ٤٥٥

٦٠- المضمر : ٧٤ .

٦١- الشنقيطي : الآليات التداولية في تفسير أضواء البيان ٨٣ .

٦٢- ينظر : الخطاب تمثيل للعالم دراسة بعض الظواهر التداولية في اللغة العربيّة الخطاب المسرحي نموذجًا : ١١٥ ، ١١٦ .
٦٣- ينظر : نفسه : ١١٦ ، ١١٧ .
٦٤- الاستلزام الحواري في التداول اللساني : ١٨ الهامش ٢ .
٦٥- نفسه .
٦٦- د.صلاح إسماعيل : نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس : ٧٨ .
٦٧- ينظر : الدرس التداولي في ضوء علم اللغة الحديث : ٢٧ .
٦٨- الاستلزام الحواري في التداول اللساني : ١٧-١٨ .
٦٩- د.نعمان بوقرة : ينظر: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة: ١٨٧ .
٧٠- ينظر :بول غرايس : المنطق والمحادثة : ٦١٩ ،٦٢٠ ، واللسان والميزان أو التكوثر العقلي : ٢٣٨ ، والتداولية عند العلماء العرب : ٣٣ .
٧١- ينظر : تفسير الفخر الرازي : ٢٧/ ١٦٧ .
٧٢- الميزان في تفسير القرآن : ١٧و١٨/ ١٩٣ .
٧٣- ينظر : صابر الحباشة : التداولية والحجاج مداخل ونصوص:٢١، والقاموس الموسوعي للتداولية : ٩٣، و مؤيد آل صوينت: الحجاج التصورات والتقنيات: ٧.
٧٤- ينظر :د.ألطاف إسماعيل الشامي : العوامل الحجاجية في شعر البردوني (النفي أنموذجًا) : ٤٢٢ (بحث) .
٧٥- ينظر : إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية : ٥٠٧ ، ٥٠٨ .
٧٦- ينظر : اللغة والحجاج : ٢٧ ، والحجاج والمعنى الحجاجي : ٦٤ .
٧٧- ينظر :عز الدين الناجح : العوامل الحجاجية في اللغة العربيّة : ٦١ .
٧٨- بنعيسى أزابيط : البعد التداولي في الحجاج اللساني : ٢٥٤ (بحث) .
٧٩- العوامل الحجاجية في شعر البردوني (النفي أنموذجًا) : ٤٢٤ .
٨٠- ينظر : د. علي محمود حجي الصراف : في البراجماتية:الأفعال الإنجازية في العربيّة المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي : ٢٢ .
٨١- الخطاب تمثيل للعالم دراسة بعض الظواهر التداولية في اللغة العربيّة(الخطاب

المسرحي نموذجًا) : ١٥٢ .

٨٢- ينظر : آفاق جديدة في البحث اللغويّ المعاصر : ٦٩ ، ١٠٧ ، ونظرية الفعل الكلّامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغويّة في التراث العربّي والإسلامي : ٥٩ .

٨٣- ينظر : آفاق جديدة في البحث اللغويّ المعاصر : ٨٠ ، وإستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية : ١٣٤ ، ١٣٥ ، وفي البراجماتية:الأفعال الإنجازية في العربيّة المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي : ٥٥ .

٨٤- في البراجماتية:الأفعال الإنجازية في العربيّة المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي : ٩٨ ، وينظر : آفاق جديدة في البحث اللغويّ المعاصر : ٨٠ .

٨٥- آفاق جديدة في البحث اللغويّ المعاصر : ٨١ ، وينظر : في البراجماتية:الأفعال الإنجازية في العربيّة المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي :١٢٤ .

٨٦- ينظر :جون سيرل : العقل واللغة والمجتمع-الفلسفة في العالم الواقعي : ٢١٧-٢١٩ ، والتحليل اللغويّ عند مدرسة أكسفورد : ٢٣٢-٢٣٨ ، وآفاق جديدة في البحث اللغويّ المعاصر : ٤٩ ، ٧٨-٨٠ ، ٩٨ ، وإستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية : ١٥٧ ، ١٥٨ ، ونظرية الفعل الكلّامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغويّة في التراث العربيّ والإسلامي : ١٢٥ ، ١٢٦ ، وفي البراجماتية:الأفعال الإنجازية في العربيّة المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي : ٦١-٦٤ .

٨٧- أ.دراجي صافية سلطة الفعل الكلاّمي في رسائل الإمام علي : : ٢ .

٨٨- إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية : ٣٢٥ .

٨٩- الكشاف : ١/ ٢٩٠ .

٩٠- روح المعاني : ١٠/ ١٥٢ .

٩١-د.نعمان بوقرة : لسانيات الخطاب (مباحث في التأسيس والإجراء) : ١٣٥ .

المصادر والمراجع:

*القرآن الكريم

أولاً : الكتب :

١. -د.محمود أحمد نحلة ،آفاق جديدة في البحث اللغويّ المعاصر: دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ٢٠٠٢م .

٢. - أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، ارتشاف الضرب من لسان العرب: تحقيق : د.رجب عثمّان محمد، ومراجعة :د.رمضان عبد التواب،مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط١ ،١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

٣. -جلال الدين السيوطي(ت٩١١هـ)،أسباب النزول المسمّى (لباب النقول في أسباب النزول): مؤسسة الكتب الثقافية،ط١، بيروت-لبنان، ١٤٢٢-٢٠٠٢م .

٤. -أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي (ت٤٦٨هـ)،أسباب نزول القرآن : تحقيق: د.ماهر ياسين الفحل ،دار الميمان للنشر والتوزيع، ط١، السعودية ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٥. -عبد الهادي بن ظافر الشهري ،استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية : دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت ، ط١ ، آذار ٢٠٠٤م .

٦. -العياشي أدراوي،الاستلزام الحواري في التداول اللساني : دار الأمان-الرباط، منشورات الاختلاف-الجزائر، ط١ ، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م .

٧. -أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، البحر المحيط : تحقيق :صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ٢٠٠٠م.

٨. -العلّامة المحدث السيد هاشم البحرانيّ ،البرهان في تفسير القرآن : حققه وعلق عليه لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت-لبنان، ط٢، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م

٩. -د. صلاح فضل ،بلاغة الخطاب وعلم النص : عالم المعرفة ، الكويت ،١٩٩٢م .

١٠. -صلاح إسماعيل عبد الحق ،التحليل اللغويّ عند مدرسة أكسفورد : دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت-لبنان ، ط١ ، ١٩٩٣م .

١١. -د. قصي العتابي، التداولية : جورج يول ، ترجمة : الدار العربيّة للعلوم ناشرون، دار الأمان، الرباط، ط١، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م .

١٢. -د.مسعود صحراوي ،التداولية عند العلماء العرب ،دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلّامية في التراث اللساني العربيّ : دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت-لبنان ،ط١، تموز ٢٠٠٥م .

١٣. -صابر الحباشة،التداولية والحجاج مداخل ونصوص : صفحات للدراسات والنشر ، دمشق-سورية ، ط١ ،٢٠٠٨م .

١٤. -فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن (ت٦٠٦هـ) ١٩٨١،تفسير الفخر الرازي المشتهر بـ(التفسير الكبير ومفاتيح الغيب): ط١،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

١٥. -أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي (٣١٠هـ) جامع البيان في تأويل القرآن: الطبري، تحقيق:أحمد محمد شاكر،ط١،مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م.

١٦. -اد.محمد محمود السيد أبو حسين ، لدرس التداولي في ضوء علم اللغة الحديث : مكتبة دار الفكر العربيّ بالقاهرة ، ٢٠١٠م .

١٧. -جلال الدين السيوطي(ت٩١١هـ)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور : تحقيق: د.عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربيّة والإسلامية،ط١، القاهرة ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

١٨. -أبو الفضل شهاب الدين الآلوسي البغدادي (ت١٢٧٠هـ) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : ،تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٥ هـ.

١٩. -علي آيت أوشان ،السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة : دار الثقافة للنشر والتوزيع ، مطبعة النجاح الجديدة –الدار البيضاء ، ط١ ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م .

٢٠. -موفق الدين أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي (ت٦٤٣هـ) ،شرح المفصّل للزمخشري : تحقيق: د.إميل بديع يعقوب ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان ، ط١ ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م .

٢١. -جون سيرل،العقل واللغة والمجتمع-الفلسفة في العالم الواقعي : ترجمة : سعيد الغانمي ، الدار العربيّة للعلوم ناشرون-لبنان، منشورات الاختلاف-الجزائر، المركز الثقافي العربيّ-المغرب، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م .

٢٢. -عز الدين الناجح ،العوامل الحجاجية في اللغة العربيّة : ط١ مكتبة علاء الدين ، صفاقس ٢٠١١م.

٢٣. -د. علي محمود حجي الصراف ، في البراجماتية :الأفعال الإنجازية في العربيّة المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي : مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م .

٢٤. – سيد قطب، إبراهيم حسين الشاربي (ت ١٣٨٥ هـ)،في ظلال القرآن : حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه: علي بن نايف الشحود، الشاملة الذهبية .

٢٥. –جاك موشلر وآن ريبول ، القاموس الموسوعي للتداولية : ترجمة : مجموعة من الأساتذة والباحثين من الجامعات التونسية بإشراف عز الدين المجدوب ، مراجعة خالد ميلاد ، دار سيناترا ، المركز الوطني للترجمة ، تونس ، ٢٠١٠م .

٢٦. –أبو بشر عمرو بن عثمّان بن قنبر (ت١٨٠هـ) كتاب سيبويه : تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط١٤٠٨،٣هـ/ ١٩٨٨م .

٢٧. –أبو القاسم جار الله الزمخشري (ت٥٣٨هـ) ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : تحقيق:الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوّض، مكتبة العبيكان،ط١،الرياض.

٢٨. –د.طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي : المركز الثقافي العربيّ، الدار البيضاء، وبيروت،ط١ ، ١٩٩٨م .

٢٩. –حمو الحاج ذهبية ، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب : دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، المدينة الجديدة ، تيزي وزو ، ط٢ ، ٢٠١٢م .

٣٠. –د.أبو بكر العزاوي ،اللغة والحجاج : العمدة في الطبع ، الدار البيضاء ، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م .

٣١. –د.نعمان بوقرة، عالم الكتب الحديث وجدارا للكتاب العالمي ،المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية : عمان–الأردن ،ط١ ،١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٩م .

٣٢. -دومينيك مانغونو ، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب : ترجمة: محمد يحياتن ، الدار العربيّة للعلوم ناشرون ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط١ ، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م .

٣٣. -كاترين كيربرات-أوريكيوني ،المضمر : ترجمة: ريتا خاطر ، مراجعة: د.جوزيف شريم ، المنظمة العربيّة للترجمة (بدعم من مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم) ، توزيع: مركز دراسات الوحدة العربيّة ، بيروت ، ط١ كانون الأول ٢٠٠٨م .

٣٤. -د.فاضل صالح السامرائي ،معاني النحو : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، عمان-الأردن ، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م .

٣٥. -باتريك شارودو ودومينيك منغنو ،معجم تحليل الخطاب : ترجمة : عبد القادر المهيري وحمادي صمّود ، دار سيناترا ، المركز الوطني للترجمة ، تونس ، ٢٠٠٨م .

٣٦. -فرانسواز أرمينكو ، المقاربة التداولية : ترجمة : د. سعيد علوش ، مركز الإنّماء القومي ، الرباط ، ١٩٨٦م .

٣٧. -د. قاسم المقداد الملفوظية : جان سيرفوني ، ترجمة : ، منشورات اتحّاد الكتاب العرب ، دمشق ١٩٩٨م .

٣٨. -العلّامة السيد محمد حسين الطباطبائي ، الميزان في تفسير القرآن : مؤسّسة السيدة المعصومة للطباعة والنشر ، مطبعة ثامن الحجج عليها السلام ، ط١ ، ١٣٢٤هـ.ق .

٣٩. -الأزهر الزنَّاد، نسيج النص ، بحث فيما يكون به الملفوظ نصًا : المركز الثقافي العربيّ، بيروت، والدار البيضاء، ط١ ، ١٩٩٣م .

٤٠. -هشام عبد الله خليفة ،نظرية الفعل الكلّامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغويّة في التراث العربيّ والإسلامي : مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت-لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٧م .

٤١. -د.صلاح إسماعيل ، نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس : دار القباء الحديثة ، ط١، ٢٠٠٧م.

٤٢. -برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي(ت٨٨٥هـ)،نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة، د.ت.

٤٣. ثانيًا : الرسائل الجامعية :

٤٤. عمر بلخير،الخطاب تمثيل للعالم دراسة بعض الظواهر التداولية في اللغة العربيّة (الخطاب المسرحي نموذجًا) : رسالة ماجستير، جامعة الجزائر/ معهد اللغة العربيّة وآدابها،١٩٩٦-١٩٩٧م.

٤٥. ثالثًا : البحوث والدوريات والأنترنيت:

٤٦. - أ.د.بلقاسم دفة ،إستراتيجيات الخطاب الحجاجي دراسة تداولية في الإرسالية الإشهارية العربيّة : مجلة المخبر ، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري-جامعة بسكرة-الجزائر ، العدد العاشر ٢٠١٤م .

٤٧. -د.هشام صويلح ، الافتراض المسبق في الدرس التداولي أنّماط وتطبيقات : جامعة عنابة-باجي مختار ، مجلة المقال ، العدد السادس/ فيفري ٢٠١٨م .

٤٨. - أ.سعد بولنوار ، الآليات التداولية في تفسير أضواء البيان للشنقيطي (تحديد المفاهيم النظرية) : جامعة عمار ثليجي الأغواط(الجزائر) ، مجلة الأثر ، العدد ١٣مارس ٢٠١٢م .

٤٩. – د.حورية رزقي ، البعد التداولي في تأويل المعنى المضمر :حوليات المخبر العدد الثالث والرابع ، مخبر اللسانيات واللغة العربيّة ، جامعة محمد خيضر–بسكرة ، ديسمبر ٢٠١٥م .

٥٠. – بنعيسى أزابيط ،البعد التداولي في الحجاج اللساني : بحث ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته ، الجزء الثاني ، تونس .

٥١. –دلخوش جار الله حسين ، التأشير والتباعد بين القدماء والمحدثين مقاربة تداولية : مجلة جامعة زاخو ، المجلد ٣ (B) ، العدد ٢ ، ٢٠١٥م .

٥٢. –أ.حمادي مصطفى ، تداولية الإشاريات في الخطاب القرآني مقاربة تحليلية لكشف المقاصد والأبعاد : جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس ، الجزائر ، مجلة الأثر ، العدد ٢٦ ، سبتمبر ٢٠١٦م .

٥٣. –عيد بلبع ، التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس : مجلة فصول العدد ٦٦ ، سنة ٢٠٠٥م .

٥٤. –أ. علجية أيت بو جمعة ، التداولية دراسة في المجالات والفروع : جامعة مولود معمري ، تيزي وزو ، بحث منشور على شبكة الأنترنيت .

٥٥. –محمد العبد ، تعديل القوة الإنجازية دراسة في التحليل التداولي للخطاب : مجلة فصول ، العدد ٦٥/ خريف ٢٠٠٤– شتاء ٢٠٠٥ ، الهيأة المصرية العامة للكتاب .

٥٦. –د.مؤيد آل صوينت ، الحجاج التصورات والتقنيات : كلّية الآداب/ الجامعة المستنصرية ، بحث منشور في الأنترنيت على الموقع www.iasj.net .

٥٧. –أبو بكر العزاوي ، الحجاج والمعنى الحجاجي : بحث ضمن كتاب

التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه ، تنسيق: حَمُّو النقَّاري ، منشورات كلّية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ،سلسلة ندوات ومناظرات رقم ١٣٤، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ،ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م .

٥٨. -أ. حورية رزقي ،خصائص الدرس التداولي في الخطاب التربوي ، الحديث النبوي أنّموذجًا : مجلة كلّية الآداب واللغات ، العددان الرابع عشر والخامس عشر، جامعة محمد خيضر –بسكرة ، الجزائر، جانفي جوان ٢٠١٤م.

٥٩. -د.ألطاف إسماعيل الشامي ، العوامل الحجاجية في شعر البردوني (النفي أنموذجًا) : مجلة كلّية العلوم الإسلامية ، جامعة بغداد ، العدد ٤٣ ، ١٦ذي الحجة ١٤٣٦هـ/ ٣٠أيلول ٢٠١٥م .

٦٠. -أ. سلاف بعزيز ،المرجعيات الشخصية في سورة البقرة من منظور اللسانيات التداولية : مجلة كلّية الآداب واللغات ، العدد التاسع عشر ، جامعة محمد خيضر-بسكرة ، الجزائر ، جوان٢٠١٦م.

٦١. - بول غرايس ، المنطق والمحادثة :ترجمة: محمد الشيباني وسيف الدين دغفوس، ضمن كتاب إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين ،الجزء الثاني، مختارات معرّبة بإشراف وتنسيق د.عز الدين مجدوب، ترجمة مجموعة من الأساتذة والباحثين ، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون «بيت الحكمة»، قرطاج ٢٠١٢م.